

# نُفَر

## المدينة التي خلقت في السماء

< تحقيق وتصوير:  
وليد عبد الأمير علوان

أساطير وحكايات، وخرافات، تدور حول هذه المدينة، وأصلها وحقيقتها، منها، أنها قد خلقت في السماء، ثم بعد ذلك نزلت إلى الأرض. حكايات عجيبة، تسمعه من أبناء القرى المجاورة، عن وجود مخلوق غريب في المدينة، يبتلع كل من يصل إليها، وأن اللعنة سوف تُصب، آجلاً أم عاجلاً، كل من يدخل إليها، حتى أن سائق سيارة الأجرة، الذي نقلنا إلى مفتشية آثار الديوانية، وبعد أن علم أن وجهتنا النهائية، وهي الذهاب إلى مدينة نُفَر، طلب منا العودة من حيث أتينا، وأنه على استعداد حتى للتنازل عن أجرة النقل التي طلبها، بل وإعادتنا مجاناً إلى محطة نقل الركاب في مركز محافظة الديوانية، لنعود أدرأجنا إلى بغداد، إلا أن كل ذلك وضعناه خلف ظهورنا، وتوجهنا رفقة مفتش آثار الديوانية، وعنصر حماية من الشرطة، إلى العاصمة الدينية للسومريين.

يعاقب الملوك على آثامهم وأخطائهم التي يرتكبونها، وقد ورد ذكره في شريعة حمورابي بين الآلهة المقدسة التي دعا حمورابي أسماءها أن توقع الحساب بمن يبدل شريعته أو يخالفها، كذلك فإن هذه المنطقة، هي مقر زوجة (إنليل)، والمسماة (ينليل)، وهذه هي سيدة الهواء والأجواء، وعليه فإن (نُفَر) أحرزت شهرة واسعة في الألفية الثالثة قبل الميلاد حيث كان من شروط الحصول على لقب الملوكية أن يقوم إله هذه المدينة بمنح هذا اللقب للحكام والأمراء، فهي العاصمة الدينية للسومريين، كما كانت هذه المدينة هي مجمع للآلهة الكبار، وعددهم (خمسون) إلهاً، يتولى كل واحد منهم إدارة شأن من شؤون المملكة، كما أن

المغطاة بالأحجار، أو غصون الأشجار، والتي توحي أنها، ربما تكون بفعل فاعل، لقد كان نهر الفرات القديم بشطرها شطرين قبل أن يتغير مجراه، وما زالت آثاره باقية إلى الآن، وتعرف ب(شط النيل).

### أهمية المدينة

لقد ورد ذكر هذه المدينة، في الأساطير الدينية، والأخبار التاريخية السومرية والبابلية، على أنها كانت المركز الديني لبلاد سومر، قبل خمسة آلاف سنة، وإنها كانت مقر (إنليل)، أعظم آلهة السومريين، وهو سيد الآلهة، وخالق الكون، وصاحب القدرة، وهو الذي أحدث الطوفان، كما ورد في ملحمة كلكامش، وهو سيد البلدان الذي

### الموقع والتسمية

تقع أطلال مدينة نُفَر، مسافة 40 كم شرق مدينة الديوانية، الواقعة على مسافة 181 كم جنوب العاصمة بغداد، و6 كم عن مركز قضاء عفك، حيث يستطيع المرء عبر شارع مدينة عفك، مشاهدة أطلال المدينة من مكان بعيد، قبل إن اسمها مشتق من الاسم السومري (نيبور)، المنطقة صحراوية ذات آفاق واسعة، فيها العديد من التلال الموزعة بين كثبانها الرملية، وأثار أسس أبنية، لمعابد وقصور وأسوار، مما يضطر المتجول داخلها إلى الصعود والنزول خلال تجواله، وقد شاهدنا العديد، من القوارير المكسورة، والمتروكة على الأرض، والحفر



Ziggurat

الزقورة



General view

المدينة من الخارج



بعض ما تبقى من معابد المدينة  
Remains of temples



بعض ما تبقى من معابد المدينة  
Remains



الزقورة  
Ziggurat

مربعة، لا تشاهد سوى أطلال هنا وهناك، ما بين معبد أو جدار، أو أعمدة مباني، أو أسوار، أو كئبان رملية، تخفي تحتها معابد وقصور. يسيطر عليك هدوء عجيب، وأنت تتجول داخل مدينة نضر، حيث أن كل ما يحيط بك يدعو إلى هذا الهدوء، وتشعر وكأنك وسط هذه البقعة الصحراوية، منقطع تماما عن العالم، والتي ربما توحى لمن يتجول فيها أن هناك من يراقبه أو يتابع خطواته، في حين أن هناك مدينة عامرة، لا تبعد عن هذا الموقع سوى ستة كيلو مترات، هي مركز قضاء مدينة (عفك).

لعل أبرز ما بقي من المدينة، هو معبد (أي كور)، ومعناه (بيت الجبل)، وهو معبد كبير للآلهة (أنليل)، وسمي بهذا الاسم لعلوه، وما زالت طبقاته شاخصة، حيث تقوم (الزقورة)، وهي أهم ما يشاهد الزائر لأطلال المدينة.

والزقورة، هي برج مدرج شامخ، وهو عبارة عن كتلة صلبة من اللبن، مغلف بالأجر، مربع القاعدة، ترتفع بقاياها عن الأرض حوالي 15 م، يقع في وسط القسم الشرقي من المدينة. لقد كان هذا في ما مضى، يتكون من مسطبة واحدة، أو عدة مساطب، يعلوها معبد صغير يصعد إليه بواسطة ثلاثة سلالم، ما زالت آثارها واضحة في الضلع الجنوبي الشرقي من البرج، وكان ينتصب في المعبد العلوي تمثال الإله الأعظم (إنليل)، سيد الآلهة السومرية ويقال إنه كان من الذهب، أما المعبد الرئيسي، فإنه يقع في موازاة الضلع الشمالي الشرقي للبرج، ويفصل بينها وبينه شارع مبسط بالأجر، والزفت، تتألف بناية المعبد من حجرة وسطية مستطيلة، تمتد من الشمال إلى الجنوب، محاطة

هذه المدينة شهدت تأسيس أول برلمان عرفته البشرية، حيث كان يجتمع الآلهة فيها لتقرير مصير العالم، وتوزيع السلطات، وإعلان الحروب، من خلال اجتماعات دورية أو سنوية، وكانت هذه المدينة هي محج الناس، حيث يقدون إليها سنويا للحج، وتقديم القرابين للآلهة.

ولأنها اعتبرت أقدس مدن الأرض، خلال حكم السومريين، والآكديين، والبابليين، كان الحج إليها واجبا دينيا، ولكي تكون هذه المدينة المقدسة، في منأى عن الحروب والغزوات، رغم أهميتها، فإنها لم تتخذ خلال أي من الحقب الزمنية آنذاك، مركزا للنشاط السياسي، بل ظلت رمزا دينيا، تقام فيها الأعياد الدينية، وأعياد رأس السنة، واحتفالات التتويج، التي تستمر أسبوعا، لذلك كانوا يسمونها (سيدة سهل مشنعار).

لقد حكم هذه المدينة السومريون، في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد، ثم خضعت بعد ذلك تباعا للآكديين والبابليين والكيشيين، ثم الآشوريين، حيث تم العثور في هذه المدينة، على ما يشير إلى أسماء ملوك هذه الدول، واستمر العمران في المدينة، حتى بعد الآشوريين، إذ عثر فوق معظم أقسام المدينة على بقايا بنايات تشير إلى أن المدينة بقيت مأهولة حتى بدأ العصر الميلادي، ولما غير نهر الفرات مجراه وابتعد عنها هجرها سكانها.

إن التنقيب الذي جرى في هذه المدينة، كشف عن نتائج مهمة، فقد عثر على تماثيل، وأواني فخارية، وأختام ورقم طينية، بينت عمارة المدينة وأقسامها، ونظم الحياة فيها، وقد أعان ذلك في العثور على لوح من الطين، رسمت عليه خارطة المدينة، فاستدل على معالمها وبناياتها ومعابدها.

### أطلال المدينة

وصلنا إلى المدينة بعد أن توقفنا للاستراحة في مراقبية آثار عفك، حيث رافقنا عنصر أمن آخر كان بمثابة دليل، وبعد المرور عبر طرق زراعية، شاهدنا من بعيد أطلال المدينة، وأبرزها زقورتها الشاهقة، تبدو المنطقة كأنها شبه منعزلة عن المناطق القريبة منها، وعندما نتجول داخل هذه المدينة، والتي لا يزيد محيطها عن 9 كيلومترات

بحجرات صغيرات، منها حجرة الحاجب، وحجرة المابين، والحجرة المقدسة، وكانت تبلغ أبعادهما (22م\_45م)، وكانت هذه البناية مقر عبادة الإله الأعظم (إنليل).

هناك آثار معبد على بعد 300م جنوبي غربي الزقورة، خصص لعبادة الآلهة السومرية (أننا)، سيدة الحب والحرب، تلك الآلهة التي عرفت في العهد البابلي وما بعده باسم (عشتار).

بناية معبد (أننا) كانت مستطيلة الشكل، تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، طولها زهاء 275م وعرضها 80م، وتتألف من ساحة وسطية، مساحتها نحو 4525 قدم، وسمك جدرانها ثلاثة أقدام ونصف القدم، وللجدران من الداخل مداخل ومخارج، ويدخل إلى هذه الساحة من باب في ضلعها الصغير، وهو الضلع الشمالي الغربي، حيث كانت تقع غرفة صغيرة تفضي إلى هذه الساحة، وفي الضلع الجنوبي الشرقي درج قليل الارتفاع يؤدي إلى غرفة مربعة، ومنها إلى ساحة ثانية. ◀





Ruins



Ziggurat

الزقورة

حيث يقوم بحفظها من اللصوص والسراق بل وحتى من المتطفلين.

أما اللعنة، التي تحل بكل من يدخل هذه المدينة، فهي تجري على كل شفاه أبناء المناطق القريبة منها. حيث يذكرون مئات القصص، عن حالات لعن، أصابت كل من دخل هذه المدينة، لذلك فهم يمتنعون تماماً حتى عن الاقتراب من محيطها الخارجي. أما قصص ما تضمه هذه المدينة من كنوز فهي كثيرة، تقف منها موقف المتعجب، وآخرها ما حصل في ثمانينات القرن الماضي، وأثناء حرب الخليج الأولى، حيث اضطر أحد أبناء القرى القريبة، إلى اصطحاب ولده الذي كان هاربا من الخدمة العسكرية، إلى هذه المدينة، في محاولة لإيجاد مكان آمن له، وأنه خلال سيره في هذه الصحراء، عثر على قارورة، قيل إنها كانت تحتوي على ستة وعشرين قطعة ذهبية، تبين فيما بعد أنها عملة قديمة، حصل منها على ثروة كبيرة.

خلال تجوالنا في هذه المدينة، ولأكثر من خمس ساعات، لم نشاهد أي مخلوق غريب، ولم يظهر لنا (العريبد)، ولم تصبنا أية لعنة، أثناء ذلك، وكذلك لحد الآن، وربما كان ذلك بسبب وجود قوة من شرطة حماية الموقع، مدججة بالسلاح، رافقتنا خلال جولتنا هذه. ولعل أدق دليل على أن اللعنة قد لا تصيب من يدخل إلى هذه المدينة، بل إن السعادة يمكن أن تغمره، هو ما حصل للرجل الذي دخلها هاربا بولده، ليخرج منها بكنز ثمين. ومع ذلك فإنه ولكثرة ما سمعناه من قصص، فإن الوسواس نتابنا أحياناً حتى بعد مضي أكثر من ثلاثة أسابيع على زيارة المدينة بأنه ربما يكون بعض ما سمعناه صحيحاً، ولا زلنا بانتظار المجهول. ■

اطلال المدينة

### الأساطير

هناك الكثير من الأساطير التي تدور حول هذه المدينة، ومنها أن مدينة نيبور أو (نُفَر) قد خلقت في السماء، قبل أن تخلق على الأرض، وأن الإله (إنليل) حين فصل السماء عن الأرض، قد ضمّد جرح الأرض الناشئ عن ذلك، وقد كان موضع الضماد، في المكان الذي أقيمت فيه (نيبور)، ومعبدها، المسمى بالسومرية (دو-إيكبي) أي رباط السماء، أو ضمادها، ولعل أغرب ما في الموضوع، أن أحد الأثاريين، الذين رافقونا، ذكر لنا أن هذه الأسطورة، ربما فيها شيء من الحقيقة، والدليل هو ما جاء ذكره في القرآن الكريم، في قوله تعالى **أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**) (سورة الأنبياء- آية 30)، ويظهر أنه نسي، أن معنى أن السماوات كانت رتقا أي (لا تمطر) ففتقها الله بالأمطار، وأن الأرض كانت رتقا أي (لا تثبت)، ففتقها الله سبحانه وتعالى بالإنبيات، أما ما يردده أبناء القرى القريبة منها، فهو أكثر من أن يحصى، ومنها أن هناك كائناً غريباً، يختطف، أو يبتلع، كل من يدخل إلى المدينة، ويذكرون قصص عن جماعات هلكت، وبطرق غامضة، لدى دخولهم بطريقة، أو بأخرى، إلى المدينة، كأنهم يشيرون بذلك إلى تلك الأسطورة القديمة التي وضعت لحماية مدينة نيبور والتي حدثنا عنها كتب الأسطورة، والميثولوجيا، كما أنهم يتحدثون وبكثرة عن وجود ما يسمونه بـ(العريبد)، وهو ذكر الأفعى، ويصور بضخامة غير اعتيادية، حيث يتولى لدغ أو قتل كل من يدخل إليها، علماً أن هذا (العريبد) يشار إليه دائماً في الموروث الشعبي العراقي، وخصوصاً في جنوب العراق ووسطه، على أنه يتولى حماية المزارع ومراعد الأولياء، التي تتوزع في مثل هذه المناطق،

تنتهي السلالم الثلاث للزقورة، إلى ساحة المعبد الكبير، والتي لا يزال مذبحة الشهير شاخصاً لحد الآن، حيث كانت القرايين تقدم إلى الآلهة الخمسين، المتواجدين فيها، والمتبقي من المذبح فيه نتوءان صخريان بارزان يرتفعان حوالي ثلاثة أمتار عن الأرض، وهو أشبه ما يكون بضرس الإنسان.

وهذه المنطقة، والتي تعتبر واحدة من أقدس أماكن المدينة، مفصولة بسور عن باقي أجزاء المدينة، وهو ذو أبراج تحمل كتابات للتعريف بأبرز الأماكن الموجودة فيها، مثل (مكتبة نيبور) والتي قيل أنها كانت تحتوي على أكثر من ثلاثين ألف لوحا طينياً تمثل مختلف العلوم، الاقتصادية، والأدبية، وعلوم الطب، والفلك، والتاريخ، واللغة، وجدول أسماء الملوك، الذين حكموا بلاد سومر، منذ عهد الطوفان، وسني حكمهم، وما جرى من حوادث، في كل سنة، مع نصوص، تتعلق بالأدعية، والترانيل الدينية، وتقويم زراعية، تبين ما يجب أن يتم القيام به، في كل فصل من فصول السنة، لإنجاح زراعة المحاصيل، وكذلك ضمت هذه الألواح، محاورات أدبية، بين شاب وأستاذه الشيخ، يرشده بها الأستاد، إلى التصرف اللائق في الحياة، وأحسن السبل التي يجب أن تسلك للوصول إلى النجاح، والتفوق، مع التأكيد على التحلي بالأخلاق والصفات الحميدة.

لعل كل هذا التراث الضخم، الذي كانت تحتويه هذه المكتبة، هو الذي دفع بمعهد الدراسات الشرقية، في جامعة شيكاغو، التي تولى فريقها العلمي أعمال التنقيب في هذه المنطقة، إلى وضع موسوعة في ثلاثين مجلداً، تضم كافة العلوم التي احتوتها تلك المكتبة.